

## تصور الخلافة الإلهية فى ديانات العالم

الدكتور خالد محمود

قبل أن نتكلم عن تصور الخلافة الإلهية فى ديانات العالم يجب أن نقف قليلاً لنبيّن أصل الأديان وانقسامها الى الأديان السماوية وغير السماوية .

لقد شاع بين الناس ان حياة البشر قد بدأت فى ظلمات الشرك بالله وان الانسانية قد تفرقت الى الفرق الدينية و الامم المختلفة فى البداية، وان الظلام قد انكشف بمرور الأيام وتدرّج الانسان الى ان بلغ مرحلة توحيد الله، وان الأديان تنقسم الى قسمين :- الأديان السماوية و الأديان غير السماوية، والواقع ان هذه الفكرة خاطئة .

ومما لا شك فيه ان الله تعالى قد خلق الكون والحياة والانسان وهو المعبود الحقيقى و رب العالمين و ان الألوهية لله وحده كما ان الحاكمية فى حياة البشر لله وحده، و الله سبحانه يتولى الحاكمية فى حياة البشر عن طريق تصريف أمرهم بمشيئته و قدره من ناحية، وعن طريق تنظيم أحوالهم و حياتهم و حقوقهم و واجباتهم و علاقاتهم و ارتباطاتهم بشريعته ومنهجه من ناحية أخرى .

ولما خلق الله آدم أرشده - منذ البداية - الى الطريق السوى، وهداه الى الصراط المستقيم ولم يترك حبله على غاربه، وبعد ذلك

ظلّ جيل آدم يسلك هذا المنهج الربّاني دهرًا طويلًا وظلّ الناس أمة واحدة حينًا من الدهر، وهكذا بدأت الحياة الانسانية فى ضوء تام، لا فى ظلام الشرك و الالحاد والضلال كما يقول مؤرخو تاريخ الاديان الذين دونوا تاريخ الديانات على أساس الظن والتخمين .

ومع مرور الزمن انحرف الانسان عن الطريق السوى - الدين - وسلك الطرق الملتوية وطمس الدين و حرفه و أشرك بالله كائنات انسانية و غير انسانية، وتفرع هذا الدين الى فروع كثيرة وتفرقت الأمة الواحدة الى أمم و فرق، و أصبح الدين فريسة العابثين والمتلاعبين ولعبة المحرّفين والمنافقين، ففقد روحه و شكله، واخترع هؤلاء الناس الطرق الملتوية و أوجدوا المستحدثات فى الدين وأدخلوا فى تعاليم الدين التغيير والتبديل وفقاً لأهوائهم و مصالحهم الذاتية، فانمحت تعاليمه و انطمست معالمه، وحرّف أصحاب الأغراض و ذووالشهوات معتقدات الدين بأوهامهم وفلسفاتهم وأحدثوا البدع فى الدين و وضعوا القوانين والشرائع من عند أنفسهم .

فبعث الله سبحانه الرسل و الأنبياء بين الحين والآخر ليهدوا الناس الى سواء السبيل و يرشدوهم الى الدين الأوّل الأصيل الذى جاء به الرسل فى العهود المختلفة وبعث الأنبياء الى الشعوب والبلاد المختلفة لتبليغه ، واستمرت سلسلتهم آلاف السنين وقد بعثوا بالآلاف ، وكان الدين الذى جاءوا به هو الدّين الاوحد الذى دعا الناس الى توحيد الله وعدم الشرك به .

،، كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه و ما اختلف فيه الاّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنة بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ،، (١).

« ان الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم فى شىء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » (٢) .  
 « وان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون » (٣) .  
 « من الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » (٤) .

« وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم » (٥) .  
 فيتضح من هذه الآيات القرآنية أن الناس كانوا أمة واحدة و بعد قرون طويلة انحرف الانسان شيئاً فشيئاً عن الطريق السوى (الدين) و تدرج على الضلال والغى والشرك بالله، وطمس الدين وحرفه وفقاً لهواه وشهواته فضل الطريق وملاً الأرض فساداً و دماء، و تفرق الناس الى أمم و فرق و دخل على الدين فيما بعد معتقدات وطقوس أخرى، فتفرع الدين الى أديان كثيرة .

ان الديانات السائدة اليوم هى صور مشوهة للدين الأصلى ، ومن ثم تقسيم الأديان الى الأديان السماوية وغير السماوية غير صحيح، والحق ان الديانات التى تسمى أديان غير سماوية قد نشأت عن الأديان السماوية، ويدل على ذلك بعض تعاليمها وخصها على التمسك بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الشر ووجود عقيدة التوحيد فى بعض أناشيدها الدينية .

وعلى سبيل المثال أهم تعاليم الديانة البرهمية :

- ١ - الكائن الإلهى
- ٢ - مقابلة الإساءة بالإحسان
- ٣ - القناعة

- ٤ - الاستقامة
- ٥ - الطهارة
- ٦ - كبح جماح الحواس
- ٧ - معرفة الفيذا
- ٨ - الصبر
- ٩ - الصدق
- ١٠ - اجتناب الغضب

وهى الوصايا العشر للدين البرهمى الهنـدى (٦) .  
وقد دخلت على الديانة البرهمية فيما بعد معتقدات وطقوس أخرى  
فهم مثلاً أخذوا يقدسون البقرة و حرّموا أكل اللحوم بتاتاً .  
ومن أشهر فلاسفة البراهمة كرشنا الذى ولد حوالى سنة  
٤٨٠٠ ق م، وقد اجتهد فى تهذيب أبناء جلدته. وحثهم على التمسك  
بالأخلاق العالية والابتعاد عن الشر و مما قاله لهم :  
,,أن الجسد الذى تهبط اليه النفس شىء زائل . أما النفس التى لا  
تدركها العين فهى أبدية,, (٧) .  
,,إذا انحل الجسد بالموت طارت النفس التى تتغلب عليها  
الحكمة إلى الطبقات العليا التى يرى فيها الاتقياء الله ويدركون كماله .  
وإذا كانت الشهوات متغلبة على النفس فإنها تردّ ثانية إلى  
الأرض,, (٨) .

وقد دخلت الهندوسية إلى الهند مع الآريين الذين نزحوا إلى  
الأقاليم الغربية من تلك البلاد حوالى سنة ١٥٠٠ ق م . وكان لهم  
أناشيد دينية مقدسة يجمعها كتاب اسمه الفيذا وقيل ان كتاب الفيذا  
أقدم من التوراة بألاف السنين، ويظهر التوحيد فى بعض أناشيدهم  
الدينية ففى كتاب الفيذا :-

«إني أنا الله ، نور الشمس، وضوء القمر، وبريق اللهب، ووميض البرق، وصوت الرياح، و أنا الرائحة الطيبة التي تنبعث في أنحاء الكون، والأصل الأزلي لجميع الكائنات ، وأنا حياة كل موجود، صلاح الصالح، لأننى الأول و الآخر ، والحياة والموت لكل كائن « (٩) .

وفيما يلي نموذج من « الريح ويذا » مترجمة عن السنسكريتية :

، أغنية لإندرا إله الآلهة ،

هو الأعلى من كل شيء وهو الأسنى

إله الآلهة ذو القوة العليا

الذى أمام قدرته الغالبة

ترتعد الأرض والسموات العالية

أيها الناس استمعوا لشعري

انما هو اندرا إله الكون (١٠)

وقد تحدّث أبو الريحان البيروني في كتاب « تحقيق ما للهند » في الباب الحادى عشر عن جميع الاديان للهنود، و كتب عن الآلهة وعبادة الأصنام والتماثيل، فقال : « اما عبادة التماثيل فهى دين الدهماء والجهلة فى الهند فقط الآ ان الطبقة المثقفة من الهنود لم يعتقدوا فيها، ثم نقل بعض الجمل من كيتا ، فقال: قيل فى كتاب كيتا ان كثيراً من الناس يتقرّبون فى مباغيهم اليّ بغيرى ويتوسّلون بالصدقات والتسبيح والصلاة لسواى فأقويهم و أوقفهم لها وأوصلهم الى ارادتهم لاستغنائى عنهم» (١١) .

وقال فيه أيضا : باسديو لأرجن : «ألا ترى ان أكثر الطامعين يتصدون فى القرابين والخدمة اجناس الروحانيين والشمس والقمر وسائر النيرين فاذا يخيب الله آمالهم لاستغناؤه عنهم» (١٢) .

قد أبدى كرشنا - فى خطابه الموجّه الى أرجن - كراهيته تجاه عبدة الشمس والقمر فانه يتنزه عن عبادة أحد مما دون الله تعالى .

ووضع قدماء المصريين تسيحة طويلة في تمجيد الإله آمون نذكر منها:

«يا إله الخورنق، أنت أيها الواحد القديم في السماء  
و أقدم الآلهة في الأرض يا رب القانون، ووالد الآلهة،  
الذي خلق ما علا وانخفض .

الحمد لك يا خالق الآلهة، يا رافع السموات، وباسط  
الأرض يا إله الكل الذي خلق الأبدية، أنت الذي خلق  
كل شيء موجود أنت الذي ترزق الأسماك في النهر،  
والطيور تحت السماء»، (١٣) .

قد نلمس في هذه التسيحة عقيدة التوحيد . وقد وجد تصور  
الخلافة الإلهية في الأديان المسماة السماوية وغير السماوية على  
السواء، وان الأديان غير السماوية - كما سبق ذكرها - نشأت عن الدين  
الأصلي السماوي ، والحق انها صور مشوهة للدين الأصلي ومن ثم  
يوجد تصور الخلافة الإلهية الى حدما في الأديان الغير السماوية .  
وقد وجدت هذه النظرية للخلافة الإلهية عند المصريين القدماء  
لما ادعى الفراعنة أنهم خلفاء الآلهة على الأرض وزعموا أنهم تقمصوا  
أرواحهم .

ووجد ذلك التصور في الديانة الكونفوشية أيضاً .

«والفلسفة السياسية في الديانة الكونفوشية تقوم على أساس ان  
الحكم ليس الآ توكيلا أو تفويضاً من الله أو من السماء للحاكم، والله  
لا يهب الحكم الآ لذوى الأخلاق الفاضلة، لأن الحاكم بمثابة نائب الله  
على الأرض، والتفويض الذي يمنحه الله للحاكم ليس تفويضاً أبدياً،  
بل يصح أن يسحب منه في أى وقت ، وذلك عندما يحيد عن جادة  
الصواب ، ويبتعد عن الأخلاق الفاضلة و يفقد ثقة شعبه»، (١٤) .

ومما كان يتصل بعقائد الفرس الدينية أن الناس ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات إلهية اصطفاها الله للحكم بين الناس ، وخصهم بالسيادة وأيدهم بروح من عنده، فهم ظل الله في أرضه، اقامهم على مصالح عباده، وليس للناس قبلهم حقوق، وللملوك على الناس السمع والطاعة.

و يقول الأستاذ براؤن :

”لم تعتق نظرية الحق الإلهي بقوة كما اعتنقت في فارس في عهد الملوك الساسانيين“ (١٥) .

وقد كان الأكاسرة يزعمون ان لهم الحق وحدهم في أن يلبسوا تاج الملك بما يجرى في عروقهم من دم إلهي (١٦) .

ان نظرية الحق الإلهي التي وجدت في أديان البراهمة والفرس والمسيحيين تقوم على القواعد الثلاثة :

١ - ان الدولة قد أسست بالأمر الإلهي.

٢ - ان تعيين الملوك يكون من قبل الله تعالى .

٣ - ان الملوك ليسوا مسئولين إلا أمام الله تعالى

وقد وردت هذه النظرية في الكتاب المقدس في ,, العهد الجديد,,:

Pray then like this

Our Father who art in heaven

Hallowed be thy name,

Thy kingdom come,

Thy will be done,

On earth as it is in heaven. (Mathew (6 : 9-10)

,,وفصلوا أنتم هكذا، ابانا الذي في السموات، ليقدس اسمك،

ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض“ (١٧)

وقد بيّن المسيح عليه السلام غايته فى الآيه الأخيرة، وشاعت بين الناس الفكرة الخاطئة انه أراد بالحكم الإلهى الحكم المعنوى فتنكر بها هذه الآيه .

وكانت غايته أن ينفذ القانون الإلهى وشريعته فى الأرض كما يجرى قانونه الطبيعى فى جميع الكون، وكان المسيح عليه السلام يعدّ الناس لأداء هذه المهمة الجليلة .

وقد وردت نظرية الخلافة الإلهية فى الديانة البرهمية إلى حدما . ان نظام الحكم فى عهد البراهمة كان حكما مطلقاً ، و كانت الطاعة للملك واجبة كما كانت لله و كان الحاكم بمثابة نائب الله على الأرض حين تولّى العرش ولو استولى على العرش عن طريق الإثم والعدوان.

فكتب منو :

«ولا ينبغى لأحد أن ينظر الى الملك نظرة الاحتقار لكونه بشراً ولو كان الملك طفلاً غير ناضج فانه فى الحقيقة إله فى صورة البشر» (١٨) .

"God has Created him for the preservation of all beings.

No one may scorn him even in infancy and say: "he is a simple mortal" for a great Divine force dwells within him".

وكانت الحكومات الدينية البرهمية فى الماضى تؤمن بتصور الخلافة الإلهية فى شكل ما، ولكن الأمر الواقع يشهد على ان الحكام قد أصبحوا آلهة و أن الملوك قد احتلوا مكانة الآلهة . ولقد وجد ذلك التصور فى إمبراطوريات الهند القديمة، و فى عهد غشتاسب أيضاً استولى الملك على السلطات الإلهية .

وفى العهد المسيحى نادى الملوك المستبدون - خلال عصورهم الوحشية - بالحكم الإلهى واعتقد الأكاسرة ان لهم الحق الإلهى و ادّعوا انه فى عروقهم دم إلهى (١٩) فهم ظل الله فى أرضه .



وكان الناس ينظرون اليهم كألهة و يرونهم فوق القانون و فوق الإنتقاد و فوق البشر و يعتقدون ان لهم حق على كل انسان و ليس لإنسان حق عليهم، وللملوك على الناس السمع و الطاعة، وهم ليسوا مسؤولين أمام الناس .

فحكم هؤلاء الملوك والحكام البلاد حكماً مطلقاً مستبداً، وكان تصور الخلافة الإلهية لديهم تصوراً ناقصاً غير متكامل الذى أدى إلى الظلم والإضطهاد، وليس لدى أديان العالم التى أشرنا إليها أى شريعة كاملة ومنهج متكامل للحياة ، فتنقصها سياسة الحكم والتوجيهات السياسية، وفوق ذلك فان صورة الديانات بالذات قد أصبحت مشوهة مع مرور الأيام، و بالتالى مُحى التصور للخلافة الإلهية .

## هوامش

- (١) البقرة آية : ٢١٣ .
- (٢) الأنعام آية : ١٥٩ .
- (٣) سورة المؤمنون الآية : ٥٢ ، ٥٣ .
- (٤) سورة الروم الآية : ٣٢ .
- (٥) سورة الشورى الآية : ١٤ .
- (٦) ذيل الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ١٢ .
- (٧) المرجع السابق ص ١٠ .
- (٨) المرجع السابق ص ١٠ .
- (٩) المرجع السابق ص ١٣ .
- (١٠) مقارنة الأديان لدكتور شلبى ج ٤ ص ٤٥ .
- (١١) كتاب فى تحقيق ما للهند للبيرونى باب ١١ ص ٩٦ .
- (١٢) المرجع السابق
- (١٣) ديانة قدماء المصريين ترجمة الدكتور سليم حسن ص ٥٣ .
- (١٤) ذيل الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٢٥ .
- (١٥) Brown : Literary History of Persia Vol. 1 . p. 129 .
- (١٦) ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩ - ١٢٨ P.128—129 Brown : Literary History of Persia Vol. 1 .

- (١٧) الكتاب (كتاب العهد الجديد) متى ٩٠٦ - ١٠ .
- (١٨) حضارة الهند للدكتور غوستاف لوبون الترجمة العربية ص ٢٢١ .
- Bluntschli J.K. The Theory of the State Book vi ch. vi P. 347 (١٩)
- Bluntschli J.K. The Theory of the State Book vi ch. vi (٢٠)
- P. 348 — 349
- Brown : Literary History of Persia Vol. 1. p. 128 — 129. (٢١)

## مصادر البحث

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار البيان.
- ٣ - البيروني ، كتاب في تحقيق مال الهند ، حيدر آباد (دكن) ١٣٧٧ هـ .
- ٤ - أحمد شلبي ، مقارنة الأديان ، القاهرة ط : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ م .
- ٥ - الشهرستاني عبدالكريم ، الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ .
- ٦ - سليم حسن الدكتور ، ديانة قدماء المصريين ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- ٧ - الماوردى مصطفى البايى الحلبي ، الأحكام السلطانية ، مصر ، ١٣٩٣ هـ .
- ٨ - The Holy Bible, London, Thamas Belson of sons 1957.
- ٩ - Brown, A literary History of Persia, London, Cambridge University Press 1951.
- ١٠ - Bluntschli J. K. The Theory of the State, London, Oxford Clarendon Press 1975 - 76.
- ١١ - الأنصارى - حامد ، نظام الحكم فى الاسلام ، دهلى ، دار المصنفين ، ١٩٦٥ م .
- ١٢ - الاصلاحى ، أمين أحسن ، الدولة الاسلامية ، لاهور ، مركز أنجمن خدام القرآن ، ١٩٧٧ م .
- ١٣ - آزاد ، ابو الكلام ، قضية الخلافة ، لاهور - داتا پبلشر ١٩٧٨ م .
- ١٤ - جعفرى ، رئيس أحمد ، الجمهورية الاسلامية ، لاهور ، مجمع الثقافة الاسلامية ١٩٦٥ م .
- ١٥ - شاه ولى الله الدهلوى ، إزالة الخفاء ، كراتشى ، محمد سعيد ايند سنز .
- ١٦ - عبدالحميد الصديقى ، الاسلام والثوقراطية ، لاهور ، مكتبة جراج راه ١٩٠٠ م .
- ١٧ - غوستاف لوبون ، تمدن هند (حضارة الهند) ، آكره ، مطبع شمسى ، ١٩١٣ م .
- ١٨ - أبو الأعلى المودودى ، الخلافة والملوكية ، لاهور ، ادارة ترجمان القرآن ، ١٩٧٥ م .
- ١٩ - أبو الأعلى المودودى ، الدولة الاسلامية ، لاهور ، اسلامك پبلشر ، ١٩٧٧ م .